

في نور محمد فاطمة الزهراء

والغواية، كانت الدنيا تناديهم: هلمّوا وهيت! لا يحرف فهم شيء من ذلك عن الصراط، وإنّما يزيدهم ثباتاً وصلابةً، فيصمّون عنها الآذان، ويطوون دونها الكشوح[889]، ويديرون نحوها الظهور. كانوا صادقي العقيدة، عميقي الإيمان، كلُّ حركة يأتونها من سلوك هي تطبيق لكلِّ حرف من حروف التنزيل. فليست العقيدة مجرد فرائض تُؤدّى، وشعائر تُقام، وليس الإيمان بتسليم أحرص بما جاءتهم به دعوة السماء... ليس حركةً ما مزجاة، ليس أحاديث تُروى لتلقّفها الأسماع. لقد انتهت مرحلة النظرية، ومرحلة الاستيعاب، وأوغلوا في مرحلة الإنجاز والإيجاب، والأعوام التي قضاها، قبل يومهم هذا، كانت تجربةً مُرّةً من العمل الدائب والجهد الشاقّ. فكم طوّعوا قلوبهم وجوارحهم للصبر والثبات والكفاح! وكم قطعوا من أشواط من التضحية والبذل والفداء! كانوا مثلاً يعزّ في الأمثال على مدى تاريخ الإنسان، لكأنّهم قد اتّخذوا من أنفسهم «وسائل إيضاح» تحسن البيان للذين اتّبعوهم عن الجهاد في سبيل عقيدتهم كيف يكون، ولقد أحسنوا البيان. * * * وكانت الزهراء طرفاً بين هذه الوسائل التي ترسم القدوة للناس، فما زالت أذُنناها ممتلئتين بكلمات أبيها لها يوم «البلاغ»: «يا فاطمة بنت محمد، لا أُغني عنك من الله شيئاً»[890].